موسى بن جعفر عليه السلام
والإمامة الإلهية
٣٦
الأمانة العامة للعتبة الكاظمية المقدسة
الشؤون الفكرية والثقافية

السلام على المعذبين في قعر السجون

موسى بن جعفر عليه السلام والإمامة الإلهية

الأمانة العامة للعتبة الكاظمية المقدسة
الشؤون الفكرية والثقافية
١٤٣٢ هـ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ

وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ

صَدَقَ اللهُ العَلِيُّ العَظِيم

آل عمران: ١٣٤

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين حبيب إله العالمين وعلى آله الطيبين الطاهرين ولا سيما بقية الله في الأرضين عجل الله فرجه.

في الخامس والعشرين من شهر رجب الأصبّ يعيش المؤمنون ذكرى استشهاد إمامهم السابع موسى بن جعفر عليه السلام بكل ما فيها من مأساة وبطولة وصبر وثبات على المبدأ والتجاء إلى المولى سبحانه وتعالى في الشدة والرخاء والاستئناس به والانقطاع إليه والإحسان إلى المسيء وكظم الغيظ بل كل مكارم الأخلاق فالإمام - أي إمام - هو مجمع لكل الفضائل ولا يمكن أن يكون من هو أفضل منه ولو في جانب من ا لجوانب لأنه يقبح من العقل أن يتقدم المفضول عند وجود الفاضل وقد أقر القرآن هذا المبدأ ﴿أَفَمَن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لاَّ يَهِدِّيَ إِلاَّ أَن يُهْدَى فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ [1] وهذه الفقرات مدعاة للاقتداء بالإمام عليه السلام وهذا الاقتداء هو الهدف الأسمى من إحياء ذكريات المعصومين عليهم السلام وإن كان مصداقاً من مصاديق مودتهم التي هي أجر الرسالة ﴿قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا

(١) يونس - الآية - ٣٥.

﴿الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ [١] وهي مظهر من مظاهر ولاية أولياء الله المفروضة في الإسلام والحب في الله المطلوب في الدين.

ومن جانب آخر يتذكر المؤمنون في هذه المناسبة خصوم الإمام بكل ما فيهم من غصب لمقام الحكومة الظاهرة وظلم أهلها الذين نصبهم رسول الله صلى الله عليه وآله وبأمر الله سبحانه وتتبع شيعتهم ومطاردتهم وسجنهم وقتلهم وهذا من أعظم حرمات الله فمن انتهك تلك الحرمة سهُل عليه أن ينتهك كل حرمة غيرها فيكون شرب الخمر والاستماع إلى الغناء وإنفاق أموال الأمة في غير محلها بل إنفاقها على شهوات الحكم وغيرها سهلة الارتكاب لمن ارتكب ما هو أشد حرمة منها بكثير، والقرآن الكريم لا يرضى للمؤمن بالله واليوم الآخر موقف الراضي بذلك ولا موقف المحايد أيضاً، بل يريد موقفاً من نوع آخر تجاه أولياء الله، يقول المولى سبحانه ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءهُمْ أَوْ أَبْنَاءهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُوْلَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ﴾ [٢]، فعلامة كتابة الإيمان في قلب الإنسان وتأييدهم بروح من المولى سبحانه؛ هو عدم مودة هؤلاء ومودة المؤمنين فقد قال الإمام الباقر عليه السلام: «إذا أردت أن تعلم أن في قلبك خيرا فانظر إلى قلبك، فإن كنت تحب أهل طاعة الله وتبغض أهل

---

(١) الشورى - الآية - ٢٣.

(٢) المجادلة - الآية - ٢٢.

معصيته ففيك خير والله يحبك، وإن كنت تبغض أهل طاعته وتحب أهل معصيته فليس فيك خير، والله يبغضك والمرء مع من أحب»[1] ومن هذا نعرف أن المطلوب في هذه المناسبة وكل مناسبات المعصومين شيئين اثنين: الولاء والبراءة معا.. لا الولاء وحده، ونحسب أن الكثير يهتمون بجانب ويهملون الآخر وهذا من التبعيض لكتاب الله.

نسأل الله سبحانه أن يرزقنا اتّباع الكتاب كله.

(١) الكافي ١/١٢٧.

أئمة هدى

ليس معنى الاقتداء أن يكون المقتدي نفس المقتدى به، وخاصة إذا كان المقتدى من درجة المعصومين فليس إلى بلوغ ذلك سبيل إنما يبقى مثل أعلى يحتذى به بقدر استطاعة الموالي على العمل به، فلا يُطلب من موالي الإمام الكاظم عليه السلام وشيعته مثلاً ما كان يفعله عليه السلام «أنه إذا وقف بين يدي الله تعالى مصلياً أو مناجياً أو داعياً أرسل ما في عينه من دموع وخفق قلبه واضطرب موجدةً وخوفاً منه وقد شغل أغلب أوقاته في الصلاة فكان يصلي نوافل الليل ويصلها بصلاة الصبح ثم يعقب حتى تطلع الشمس ويخر لله ساجداً فلا يرفع رأسه من الدعاء والتحميد حتى يقرب زوال الشمس»[١] حتى اعترف عدوه بذلك والفضل ما شهدت به الأعداء، أنه من رهبان بني هاشم اعترافاً منهم بعبادته وزهده، وقد كان الداخل إلى بيته لا يجد فيه سوى خصفة وسيف معلق ومصحف وكان يحدث أصحابه عن سيرة الزاهد الكبير أبي ذر الغفاري رحمه الله فيقول «رحم الله أبا ذر فلقد كان يقول جزى الله الدنيا عني مذمة بعد رغيفين من الشعير أتغدى بأحدهما وأتعشى بالآخر وبعد شملتي الصوف، أأتزر بإحداهما وأتردى بالأخرى»[٢] وكل ما ورد من تلاوته للقرآن وإنفاقه في سبيل الله وعتقه للعبيد وكظمه للغيظ وصبره على البلاء وغير ذلك فإن من المستحيل

---

(١) حياة الإمام ١/١٣٩.

(٢) الكافي ٢/١٣٤.

أن تكون صلاتنا كصلاته عليه السلام وإنفاقنا كإنفاقه أو أي شيء من عملنا يشبه عمله، والسبب في ذلك أن المعرفة الكاملة بمقام المولى سبحانه وتعالى تجعل فعله لا يشبه أفعال العباد «إلا المعصومين» من حيث الكم والكيف، وبعد هذا الاعتراف منا على عدم اللحوق به عليه السلام في تلك المزايا «بهذه الخصوصيات» يبقى لنا أن نشابهه بتلك المسميات من صلاة وإنفاق ودعاء وقراءة قرآن وذكر وغير ذلك وإن كانت في مرتبة أقل بكثير من تلك التي عند الإمام عليه السلام، ولا أقل أن يلتزم بما هو واجب من ذلك بحدوده وشروطه، ولا نكون مثل أعدائه والعياذ بالله بأن نترك امتثال تلك الأمور أو نرتكب شيئا مما أمرنا بتركه، ويجب معرفة تلك الواجبات والمحرمات بل وغيرها أيضاً من خلال المعصوم عليه السلام ولا يجوز بحال أن نأخذ من غيره مهما كان هذا الغير، فقد يكون عند الناس فقيهاً عالماً مفسراً وغير ذلك لكننا غير مأمورين بالأخذ عن هذا الغير، وأكثر من ذلك إن ادعى ذلك الغير الإمامة، فيكون من المفترين على الله سبحانه، يقول الإمام الصادق عليه السلام: «من ادعى الإمامة وليس بإمام فقد افترى على الله وعلى رسوله وعلينا»[1] لأن الإمامة منصب إلهي فلا بد أن يكون المتصدي لها أن يكون منصّباً من قبل الله سبحانه، وإلا سيكون مدعياً كاذباً ومفترياً على الله ذلك لأن الإمامة تحتاج إلى جعل إلهي» كبقية المناصب الإلهية الأخرى وقد نص القرآن على ذلك تحت عناوين خاصة:

(١) بحار الأنوار ١١٢/٢٥.

١. خليفة الله ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ (١).

٢. رسول الله ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ (٢).

٣. وزير الرسول «وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيرًا﴾ (٣).

٤. الإمام «إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ (٤)

فكما أن خلافة الله في الأرض وبعث الأنبياء وتنصيب وزراء لأولئك الأنبياء كل ذلك يحتاج إلى «جعل إلهي»، كذلك الإمامة تحتاج إلى مثل هذا الجعل، فتبين من ذلك أن الإمامة منصب إلهي كسائر المناصب الإلهية وليس للناس، لا مؤمنهم ولا كافرهم دور في نصبه أو رفعه.. إنما هو أمر من الله تعالى.

والملاحظ في النقطة الرابعة أن المخاطب بهذا هو إبراهيم الخليل عليه السلام وقد أعطي هذه الإمامة في أواخر حياته الشريفة وإذا علمنا أنه أعطي النبوة في بداية حياته بدليل أنه بعد دعوة قومه إلى التوحيد ورفضهم هذه الدعوة أراد أن ينبههم أن الأصنام لا تضر ولا تنفع فكسر كل الأصنام وأبقى كبيرهم فلما رجع القوم ووجدوا آلهتهم محطمة إلا كبيرها ﴿قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ﴾ (٥) فنفهم من ذلك أن

(١) البقرة - الآية - ٣٠.

(٢) الأنعام - الآية - ١٢٤.

(٣) الفرقان - الآية - ٣٥.

(٤) البقرة - الآية - ١٢٤.

(٥) الأنبياء - الآية - ٦٠.

تلك المواجهة بعد دعوة التوحيد أن إبراهيم عليه السلام كان «فتى» ومما يدل على أن الإمامة كانت في آخر عمره الشريف، ونستنتج مما تقدم:

١. إن هذا الجعل الإلهي جاء بعد سلسلة من الاختبارات الإلهية وقد خرج الخليل عليه السلام منها ناجحاً ظافراً ومن أوضح تلك الابتلاءات أن يؤمر الخليل عليه السلام وهو الشيخ الكبير بذبح ابنه الذي جاء بعد شبه يأس منه ومن زوجته أن يرزقا ولدا وقد وصفه القرآن ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاء الْمُبِينُ﴾ (١).

٢. إن أسم الفاعل «جاعلك» لا يعمل في المفعول «إماماً» إلا إذا كان بمعنى الحال أو الاستقبال ولا يعمل في الماضي، وهذا ساري في كل جعل إلهي، فحينما يقول المولى للملائكة «إني جاعل في الأرض خليفة» فهذا يعني أن الخلافة تبدأ في الحال والمستقبل ولا يعني أنه كان كذلك قبل هذا الجعل.

٣. سؤال الخليل عليه السلام لإعطاء الإمامة لذريته بعد أن أعطي هذا المنصب الجليل، مما يدل على وجود أصول لتلك الذرية، ولا يعقل أن يسأل لها قبل وجودهم، فذلك ليس من أدب الخليل عليه السلام. وإذا رجعنا إلى القرآن الكريم نجد أن أصول تلك الذرية قد وهبت له عليه السلام في أواخر عمره الشريف، فعندما جاءته البشارة كان رد فعله ﴿قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَى أَن مَّسَّنِيَ الْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ﴾ (٢).. وكذلك يحدثنا القرآن عن ردة فعل

(١) الصافات - الآية - ١٠٦.

(٢) الحجر - الآية - ٥٤.

زوجته فيقول عنها أنها بعد سماعها للبشارة ﴿فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ﴾ (١)، وهذا يعني أن ما أعطي للخليل عليه السلام في أواخر عمره من الإمامة هو منصب آخر غير ما أعطي له في أول عمره وهو النبوة، وبذلك نعرف أن المنصبين يختلفان عن بعضهما البعض أولاً، وهناك تدرج في المقام ثانيا، فيكون ما أعطي له آخراً هو أفضل مما أعطي له أولاً، فقد قال الإمام الصادق عليه السلام: «إن الله - تبارك وتعالى - اتخذ إبراهيم عبداً قبل أن يتخذه نبياً، وإن الله اتخذه نبياً قبل أن يتخذه رسولاً، وإن الله اتخذه رسولاً قبل أن يتخذه خليلاً، وإن الله اتخذه خليلاً قبل أن يجعله إماماً. فلما جمع له الأشياء قال: « أني جاعلك للناس إماماً، قال: فمن عظمها في عين إبراهيم قال: ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين قال لا يكون السفيه إمام التقي» (٢)

المحسن والظالم

إن إبراهيم الخليل عليه السلام لم يكتف أن وصل هو لهذا المنصب الإلهي بل سألها لذريته وقد أجابه المولى على ذلك أن الإمامة عهد إلهي لا ينال كل ذرية إبراهيم بل بعضهم وهذا البعض لا بد أن يكون «غير ظالم» والظلم له أنواع كثيرة أعظمها أن يظلم الإنسان ربه بأن يعتقد أن له شريك ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ (٣) ونوع آخر من الظلم: أن يظلم الإنسان نفسه

(١) الذاريات - الآية - ٢٩.

(٢) الكافي ١/١٧٦.

(٣) لقمان - الآية - ١٣.

بارتكاب المعاصي والآثام فهو ظلم للنفس لأنه يؤدي بها إلى الهاوية، ونوع ثالث: أن يظلم الإنسان أخاه الإنسان بينما مقتضى الأخوة أن لا يحدث مثل ذلك، وإطلاق الظلم بمعنى عدم تقييده بشيء في الآية يدل دلالة واضحة على شموله لكل أنواع الظلم وإن كان ظلماً صغيراً، أو كان ظلماً سابقاً لمرتبة النبوة، وقد ذكر السيد الطباطبائي قدس سره عن بعض أساتذته «إن الناس بحسب القسمة العقلية على أربعة أقسام: من كان ظالما في جميع عمره، ومن لم يكن ظالما في جميع عمره، ومن هو ظالم في أول عمره دون آخره، ومن هو بالعكس هذا، وإبراهيم عليه السلام أجل شأناً من أن يسأل الإمامة للقسم الأول والرابع من ذريته، فبقي قسمان وقد نفى الله أحدهما، وهو الذي يكون ظالماً في أول عمره دون آخره، فبقي الآخر، وهو الذي يكون غير ظالم في جميع عمره»[1]، وعدم ارتكاب أي ظلم طوال عمر الإنسان ومن بدايته إلى نهايته لا يمكن ضبطه لبشر، لكن ذلك ممكن لعلام الغيوب، ونحتاج لمعرفته إلى نص إلهي يدل على وجود هؤلاء وهذا ما نجده في قوله تعالى ﴿وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَى إِسْحَقَ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ مُبِينٌ﴾[2] فهو نص بأن ذرية إبراهيم عليه السلام وذرية إسحاق عليه السلام تنقسم إلى قسمين الأول منهم محسن والقسم الثاني ظالم، وقد مر بنا أن الإمامة لا تنال الظالم أما المحسن وهو القسم المقابل للظالم فهو غير ظالم، فمن الممكن أن يكون منهم أئمة، استجابة لطلب الخليل عليه السلام وإجابة الجليل سبحانه وقد تحدث القرآن

(١) الميزان ١٥٨/١.

(٢) الصافات - الآية - ١١٣.

أن هذا القسم من الذرية «المحسن» قد ناله الجعل الإلهي ونال مرتبة الإمامة ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاء الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ﴾[١] ومرة أخرى نرى ارتباط الإمامة بالجعل الإلهي فلا هي شورى ولا اختيار ولا بيعة ولا غير ذلك إنما «جعل إلهي» وقد قال الإمام الرضا عليه السلام في كلام طويل له عن أهمية مقام الإمامة وبعد ذكره للآية الشريفة: «فلم تزل في ذريته يرثها بعض قرناً فقرناً حتى ورثها الله تعالى النبي صلى الله عليه وآله، فقال جل وعلا: ﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُواْ وَاللّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾ فكانت له خاصة فقلدها صلى الله عليه وآله عليا عليه السلام بأمر الله تعالى على رسم ما فرض الله، فصار في ذريته الأصفياء الذين آتاهم الله العلم والإيمان، بقوله تعالى: ﴿قَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ﴾ « فهي في ولد علي عليه السلام خاصة إلى يوم القيامة إذ لا نبي بعد محمد صلى الله عليه وآله»[٢] وقد أشار القرآن الكريم إلى هذه الاستمرارية وهذا التعاقب في هذه الذرية المباركة عندما نص على أن البراءة من الوثنية والتمسك بالتوحيد والهداية الإلهية باقية في عقب الخليل عليه السلام ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاء مِّمَّا تَعْبُدُونَ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾[٣]، فقد ورد في روايات كثيرة عن أهل البيت عليهم السلام تؤكد أن الكلمة الباقية

---

(١) الأنبياء - الآية - ٧٣.

(٢) الكافي ١/٢٠١.

(٣) الزخرف - الآية - ٢٦-٢٨.

هي الإمامة المستمرة في آل محمد صلى الله عليه وآله ومن ذرية الحسين عليه السلام بالذات ولا تنافي بين ذلك وبين التوحيد حيث «إن مسألة الإمامة مندرجة في كلمة التوحيد، لأن للتوحيد فروعا أحدها التوحيد في الحاكمية والولاية والقيادة، ونحن نعلم أن الأئمة يأخذون ولايتهم وزعامتهم من الله سبحانه، لا أنهم مستقلون بأنفسهم، وبهذا فإن هذه الروايات تعتبر من قبيل بيان مصداق وفرع من المعنى العام لـ «جعلها كلمة باقية»[1].

نفهم من جميع ما تقدم أمور يمكن إجمالها بما يأتي:

١- اهتمام القرآن بمسألة الإمامة.

٢- الإمامة منصب إلهي.

٣- يحتاج هذا المنصب إلى نص لتعيين صاحبه.

٤- أن يكون صاحب هذا المنصب ليس بظالم.

٥- استمرار ذلك في عقب الخليل عليه السلام.

فعلى المسلمين جميعاً أن يبحثوا وفي عقب الخليل عليه السلام حصراً عمن تتوفر فيه النص أولاً وعدم الظلم ثانياً ليتخذوهم أئمة وخاصة أن الارتباط بإمام معين في هذه الدنيا سوف ينعكس بشكل كامل في العالم الآخر ﴿يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُوْلَئِكَ يَقْرَؤُونَ كِتَابَهُمْ وَلاَ يُظْلَمُونَ

(١) الأمثل ١٦/٤٠.

فَتِيلاً﴾ [1] والإمام في الآية يشمل كل مقتدى سواء أوصل أتباعه إلى الهدى أو إلى الضلالة والعمى وبهذا تكون الإمامة هي الفاصلة بين الفرقة الناجية وغيرها, يقول سيد الشهداء عليه السلام في هذه الآية الكريمة «إمام دعا إلى هدى فأجابوه إليه، وإمام دعا إلى ضلالة فأجابوه إليها، هؤلاء في الجنة، وهؤلاء في النار، وهو قوله تعالى ﴿فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾ [2].

(١) الإسراء - الآية - ٧١.

(٢) نور الثقلين ١٩٢/٣.

أئمة ضلال

نجد هذا القسم من الأئمة موجود في الأمة الإسلامية فقد حدث أبو ذر رضي الله عنه «كنت أمشي مع رسول الله صلى الله عليه وآله فقال «لغير الدجال أخوفني على أمتي - قالها ثلاثا - قال: قلت يا رسول الله، ما هذا الذي غير الدجال أخوفك على أمتك؟ قال: أئمة مضلين»[1] وقد عرف هؤلاء الأئمة في حديث آخر «إن أطاعوهم فتنوهم وإن عصوهم قتلوهم»[2] وأعطى الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله ملامح أخرى في أحاديث أخرى ومن تلك الأحاديث ما رواه عبد الله بن مسعود أن النبي صلى الله عليه وآله قال «سَيَلي أمركم من بعدي رجال يطفئون السنة ويحدثون البدعة، ويؤخرون الصلاة عن مواقيتها، قال ابن مسعود: يا رسول الله كيف بي إذا ادركتهم؟ فقال: ليس يا ابن أم لعبد طاعة لمن عصى الله - قالها ثلاث مرات»[3] فأنت ترى أن هؤلاء المضلون هم حكام والفاصلة الزمنية بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وآله ليست طويلة بل بعده مباشرة «من بعدي» وأنهم يطفئون السنة ويحدثون البدعة ويهملون الصلاة، ويشير النبي صلى الله عليه وآله إلى وظيفة المسلم تجاه هؤلاء الظلمة بعدم الطاعة، والعجيب أنه يتحدث مع عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ويحدد له وظيفة تجاه هؤلاء الحكام. بل يعوّذ صحابي آخر بالله من تلك الإمارة فيقول صلى الله عليه وآله: «يا

---

(١) المسند ١٤٥/٥.

(٢) المعجم الكبير ١٤٩/٨.

(٣) المسند ١٣٦/٨.

كعب بن عجرة أعيذك بالله من إمارة السفهاء، قال: وما ذاك يا رسول الله؟ قال: أمراء سيكونون من بعدي، مَن دخل عليهم فصدّقهم بحديثهم وأعانهم على ظلمهم فليسوا مني ولست منهم، ولم يردوا علي الحوض، ومَن لم يدخل عليهم ولم يصدّقهم بحديثهم ولم يعنهم على ظلمهم، فأولئك مني وأنا منهم وأولئك يردون علي الحوض»[1]. وهؤلاء الظالمون هم الذين حذر الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله من الدخول عليهم وتصديق حديثهم وإعانتهم على ظلمهم، فمن يفعل ذلك فليس من الرسول، والرسول ليس منه، مما يعني البراءة منهم والمقاطعة التامة فهم في وادٍ والرسول الأكرم صلى الله عليه وآله في وادٍ آخر، وهذا حكم من دخل وصدق وأعان فكيف الحال مع نفس الظالمين! فالمنادي المأذون من قبل الله سبحانه يوم القيامة ينادي بين أصحاب النار وأصحاب الجنة ﴿أَن لَّعْنَةُ اللهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾[2] وقبل هذا الإعلان الإلهي يدخلون في العذاب الأبدي ويصوّر القرآن ذلك بأن الظالمين لو امتلكوا كل ما في الأرض ومثله معهم لفدوا به أنفسهم من هذا العذاب ﴿وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ مِن سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَبَدَا لَهُم مِّنَ اللهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ﴾[3] وقد حدد القرآن علاقة المسلم بهؤلاء في الدنيا فقال ﴿وَلاَ تَرْكَنُواْ إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللهِ مِنْ أَوْلِيَاء ثُمَّ لاَ تُنصَرُونَ﴾[4]

---

(١) المسند ٢٩٦/٣٠.

(٢) الأعراف - الآية - ٤٤.

(٣) الزمر - الآية - ٤٧.

(٤) هود - الآية - ١١٣.

معرفة الإمام

في مقابل أئمة الضلال هناك أئمة نص الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله أن المسلم يموت ميتة جاهلية إن لم يكن عليه إمام فقال صلى الله عليه وآله: «مَن مات وليس عليه إمام مات ميتة جاهلية»[1] وقد روى المسلمون عن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله عدد هؤلاء الأئمة وقد علق صلى الله عليه وآله في أحاديث كثيرة صلاح أمر الأمة وعزتها بهم، ولا يغرهم من خالفهم وغير ذلك، ومن تلك الأحاديث ما رواه مسلم عن جابر بن سمرة عن النبي صلى الله عليه وآله «لا يزال الإسلام عزيزاً إلى اثني عشر خليفة ثم قال كلمة لم أفهمها فقلت لأبي ما قال؟ قال: كلهم من قريش»[2] ونحن لا نعقل أن يكون موضوع الإمامة بهذه الأهمية بحيث أن الإنسان يحشر مع إمامه في الآخرة ومن لا يعرف إمامه في الدنيا يموت ميتة جاهلية ويعرف أن هناك اثنا عشر خليفة بهم عزة الإسلام وبقائه، ومع ذلك كله لا يسأل المسلمون عن تشخيص هؤلاء، أو أن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله لا يبالي لذلك! وهو الحريص على هداية الأمة، وما نعتقده أن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله عين هؤلاء بأسمائهم وأسماء آبائهم وألقابهم وقد روى ذلك محدثو مدرسة أهل البيت كلهم وهذا يتلائم مع طبيعة الأشياء، فمن المعقول جداً أن يسأل المسلمون عن هؤلاء الاثني عشر، أو يبين لهم الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله ذلك جواباً على سؤال أو ابتداء من غير سؤال، وقد نلمح مثل هذا لكن بدون أسماء في كتب بقية المسلمين بوصية الرسول

(١) المعجم الأوسط ٧٨/١.

(٢) صحيح مسلم /ح٣٣٩٤.

ﷺ بالثقلين وهو حديث متواتر لا يكاد كتاب من كتب الحديث يخلو عنه وبألفاظ مختلفة وما يهمنا من تلك الصيغ هو ما رواه أحمد بن حنبل عن الرسول الأكرم ﷺ: « إني تارك فيكم خليفتين: كتاب الله حبل ممدود ما بين السماء والأرض، أو ما بين السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، وإنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض»[١] مما يدل على أن الرسول الأكرم ﷺ هو الذي سمى أهل بيته بالخلفاء وإذا جمعنا بين هذا وبين قول آخر لرسول الله ﷺ: «ومَن يعيش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً فعليكم بما عرفتم من سنّتي وسنّة الخلفاء المهديين الراشدين من بعدي»[٢] وفي هذا الحديث الشريف وردت عبارة «من بعدي» وقد مرت نفسها عند الحديث عن أئمة الضلالة في الأمة.

الصراع الحتمي بين الخطين

نتيجة البحث السابق فإن هناك خطين، خط الإمامة الإلهية المجعولة وهي استمرار وامتداد لمهام الرسالات السماوية عدا تلقي الوحي وهذا ما تستدعيه طبيعة الرسالة الخاتمة الباقية إلى يوم الدين فلا تأتي رسالة بعدها تصحح ما يمكن أن يقع من أخطاء كما جرى للرسالات السابقة، وبما أن الرسول ﷺ عمره محدود ويكون عادة أقصر بكثير من عمر

---

(١) المسند ٨١/٥.

(٢) المستدرك ٣٢١/١.

الرسالة ورحيل الرسول صلى الله عليه وآله فإنه برحيله سيترك فراغاً هائلاً كبيراً بحجم الوظائف الكثيرة الملقاة عليه صلى الله عليه وآله، ومن تلك المهام العظيمة هي القيادة السياسية للأمة وهذا ما قد تقمصه الظالمون وهو الخط الثاني والصراع بين هذين الخطين هو خلاصة التأريخ عامة وتأريخ الأوصياء بصورة خاصة، فالأئمة بعد غصب الدور السياسي منهم ينشطون في أداء الأدوار الأخرى، ونشاطهم هذا دائما كان يقابله من الحكومات التي تعاصر كل إمام، بالظلم والعدوان والاتهام بمحاولة قلب نظام الحكم.. إلى آخره من التهم الجاهزة، وهذا الأمر يشمل كل العصور، فقد ملئت العصور بظلامة آل محمد صلى الله عليه وآله ونستطيع في كل عصر من العصور أن نجد شاهداً واضحاً «ولا نقول أن غير هؤلاء لم يظلموا وإن عاشوا في تلك العصور بل نقول أن هؤلاء شواهد واضحة لا تقبل الخفاء»على ذلك ففي عصر ما بعد النبي صلى الله عليه وآله نجد الشاهد هو فاطمة الزهراء التي قال عنها الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله: «فاطمة بضعة مني فمن أغضبها أغضبني»[1] والشاهد على العهد الأموي هو سيد شباب أهل الجنة الإمام الحسين عليه السلام الذي قال عنه الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله: «حسين مني وأنا من حسين أحب الله من أحب حسيناً، حسين سبط من الأسباط»[2] والشاهد على العهد العباسي ظلامة الإمام موسى بن جعفر عليه السلام.

(١) الجامع الصغير ٢٠٩/٢.

(٢) المستدرك ١٧٨/٣.

الإمام الكاظم والحاكم الظالم

كاظم الغيظ هو سابع الأئمة الاثني عشر الذين نص عليهم رسول الله صلى الله عليه وآله ونص عليه أبوه الإمام الصادق عليه السلام منذ طفولته المبكرة، فقد روى صاحبه الفيض بن المختار قال: «قلت لأبي عبد الله عليه السلام خذ بيدي من النار من لنا بعدك؟ فدخل عليه أبو إبراهيم عليه السلام - وهو يومئذ غلام - فقال: هذا صاحبكم، فتمسك به»[1] وغير ذلك كثير، وقد حدث عند استشهاد الإمام الصادق عليه السلام حدث فيه دلالة كبيرة على الأجواء الأمنية الضاغطة التي كان يعيشها الأئمة من ناحية، وفي ناحية أخرى عدم معرفة بعض الشيعة بهذا التنصيب، مما حدى بهم إلى الرواح إلى المدينة للسؤال عن ذلك وحسب توجيهات الأئمة أنفسهم، فقد سئل الإمام الصادق عليه السلام «ما تقول في قوم هلك إمامهم كيف يصنعون؟ قال: أما تقرأ كتاب الله «فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ» قلت: جعلت فداك فما حال المنتظرين حتى يرجع المتفقهون؟ قال: فقال لي: رحمك الله، أما علمت أنه كان بين محمد وعيسى صلى الله عليهما خمسون ومائتا سنة، فمات قوم على دين عيسى انتظاراً لدين محمد فآتاهم الله أجرهم مرتين»[2]، وفي حديث آخر عنه عليه السلام رداً على سؤال أبي الصباح عندما سأله «ما تقول: في رجل دُعي إلى هذا الأمر فعرفه، وهو في أرض منقطعة إذ جاءه موت الإمام، فبينا هو

---

(١) الكافي ١/٣٠٧.

(٢) البحار ٧/٤٢٢.

ينتظـر إذ جاءه الموت، فقال: هو والله بمنزلة من هاجر إلى الله ورسوله فمات فقد وقع أجره على الله»[1].

وبهـذا يوضح الإمام الصـادق عليه السلام تكليف الأمة عند موت أي إمام، فعليهم «إن كانوا ليسوا في مدينة الإمام» أن يبعثوا وفداً من كل منطقة يمثلهم ليعرف من هو الإمام أو لمن أوصى الإمام السابق وعلى البقية أن ينتظروا رجوع الوفد وهم معذورون إلى أن يأتيهـم الوفـد وإذا مات أحدهم في حـال الانتظار فهو كمن ينتظـر رسـول الله صلى الله عليه وآله في المـدة بينه وبين عيسـى عليه السلام وقد وقع أجره على الله، حاله حال المهاجر إلى الله ورسوله فيموت أثناء الطريـق، ومـن هذه التعاليـم نلمح أن هذه الأمـور قد تحدث، فعلـى الإمام بيان وظيفة العباد عند ذاك وقد حدث ذلك فعلاً بعـد استشـهاد الإمام الصادق عليه السلام ووصول هـذا الخبر للجهاز الحاكـم، يقول أبو أيوب النحـوي: «بعث إليّ أبو جعفر المنصور في جـوف الليـل فأتيته فدخلـت عليه وهو جالس على كرسـي وبـين يديـه شمعة وفي يده كتـاب، قال: فلما سـلمت عليه رمى بالكتاب إليّ وهو يبكي، فقال لي: هذا كتاب محمد بن سليمان يخبرني أن جعفر بن محمد قد مات، فإنا لله وإنا إليه راجعون - ثلاثا - وأين مثل جعفر؟ ثم قال لي: اكتب قال: فكتبت صدر الكتـاب، ثـم قـال: اكتـب إن كان أوصـى إلى رجل واحـد بعينه فقدمـه واضرب عنقـه، قال: فرجع إليه الجـواب أنه قد أوصى إلى خمسـة، وأحدهـم أبـو جعفر المنصور ومحمد بن سـليمان

(١) نور الثقلين ٢/١٠٣.

وعبد الله وموسى وحميدة»[1] فترى أن الحاكم يتابع وهو في العراق أخبار الإمام الصادق عليه السلام وهو في المدينة وحتى خبر استشهاده ويفكر الحاكم أيضاً بمن يخلفه في الإمامة ويحاول أن يصفيه لكن هذا الكيد يبطله الإمام الصادق عليه السلام بالوصية إلى هؤلاء الخمسة، وقد فهم مَن له طول صحبة بالأئمة عليهم السلام وهو أبو حمزة الثمالي وكان في أواخر عمره الشريف حيث قال بعد سماعه لهذه الوصية بالخمسة: «الحمد لله الذي هدانا إلى الهدى، وبيّن لنا عن الكبير ودلنا على الصغير، وأخفى عن أمر عظيم، فسُئل عن قوله، فقال: بيّن عيوب الكبير ودل على الصغير لإضافته إياه، وكتم الوصية للمنصور لأنه لو سأل المنصور عن الوصي لقيل أنت»[2]، وقد أرسلت شيعة الكوفة وفدها وقد حدث أحد أعضاء ذلك الوفد وهو هشام «عن هشام بن سالم قال: كنا بالمدينة بعد وفاة أبي عبد الله عليه السلام أنا ومؤمن الطاق، أبو جعفر والناس مجتمعون على أن عبد الله صاحب الأمر بعد أبيه، فدخلنا عليه أنا وصاحب الطاق والناس مجتمعون عند عبد الله وذلك أنهم رووا عن أبي عبد الله عليه السلام أن الأمر في الكبير ما لم يكن به عاهة، فدخلنا نسأله عما كنا نسأل عنه أباه فسألناه عن الزكاة في كم تجب؟ قال: في مائتين خمسة، قلنا: ففي مائة؟ قال: درهمان ونصف، قلنا له: والله ما تقول المرجئة هذا، فرفع يده إلى السماء فقال: لا والله ما أدري ما تقول المرجئة، قال: فخرجنا من عنده ضلالا لا ندري إلى أين نتوجه أنا وأبو جعفر، فقعدنا في بعض أزقة

(١) الكافي ١/٤٥٩.

(٢) المناقب ٣/٤٣٤.

المدينة باكين حيارى لا ندري إلى من نقصد وإلى من نتوجه؟ نقول: إلى المرجئة، إلى القدرية، إلى الزيدية، إلى المعتزلة، إلى الخوارج ! قال: فنحن كذلك إذ رأيت رجلاً شيخاً لا أعرفه يومئ إليّ بيده، فخفت أن يكون عيناً من عيون أبي جعفر، وذلك أنه كان له بالمدينة جواسيس ينظرون على من اتفق شيعة جعفر عليه الصلاة والسلام فيضربون عنقه فخفت أن يكون منهم. فقلت لأبي جعفر: تنحَّ فإني خائف على نفسي وعليك، وإنما يريدني ليس يريدك، فتنحّ عني، لا تهلك وتعين على نفسك، فتنحى غير بعيد وتبعت الشيخ وذلك أني ظننت أني لا أقدر على التخلص منه، فما زلت أتبعه حتى ورد بي على باب أبي الحسن موسى عليه السلام ثم خلاني ومضى، فإذا خادم بالباب، فقال لي: ادخل رحمك الله، قال: فدخلت فإذا أبو الحسن عليه السلام فقال لي ابتداءً: لا إلى المرجئة، ولا إلى القدرية، ولا إلى الزيدية، ولا إلى المعتزلة، ولا إلى الخوارج، إليّ إليّ إليّ، قال: فقلت له: جعلت فداك مضى أبوك؟ قال: نعم، قلت: جعلت فداك من لنا بعده؟ فقال: إن شاء الله أن يهديك هداك، قلت: جعلت فداك إن عبد الله يزعم أنه من بعد أبيه، قال: يريد عبد الله أن لا يعبد الله، قال: قلت له: جعلت فداك من لنا بعده؟ فقال: إن شاء الله أن يهديك هداك أيضا، قلت: جعلت فداك أنت هو؟ قال لي: ما أقول ذلك، قلت في نفسي: لم أصب طريق المسألة، قلت: جعلت فداك عليك إمام؟ قال: لا، فدخلني شيء لا يعلمه إلا الله إعظاما له وهيبة أكثر مما كان يحل بي من أبيه إذا دخلت عليه، قلت: جعلت فداك أسألك عما كان يسأل أبوك؟ فقال: سَل تُخبر ولا تذع، فإن أذعت فهو الذبح، فسألته

فإذا هو بحر، قال: قلت: جعلت فداك شيعتك وشيعة أبيك ضلال فألقي إليهم وأدعوهم إليك فقد أخذت علي بالكتمان؟ قال: من آنست منهم رشدا فألق عليهم وخذ عليهم بالكتمان، فإن أذاعوا فهو الذبح وأشار بيده إلى حلقه، قال: فخرجت من عنده فلقيت أبا جعفر فقال لي: ما وراك؟ قال: قلت: الهدى، قال: فحدثته بالقصة، ثم لقيت المفضل بن عمرو أبا بصير قال: فدخلوا عليه وسلموا وسمعوا كلامه وسألوه ثم قطعوا عليه، ثم قال: ثم لقيت الناس أفواجا قال: فكان كل من دخل عليه قطع عليه إلا طائفة مثل عمار وأصحابه، فبقي عبد الله لا يدخل عليه أحد إلا قليلا من الناس، قال: فلما رأى ذلك وسأل عن حال الناس قال: فأخبر أن هشام بن سالم صدّ عنه الناس، فقال هشام: فأقعد لي بالمدينة غير واحد ليضربوني»[1] ونفهم من هذا الحديث عده أمور وبعضها يصور الأجواء التي استلم بها الإمام الكاظم عليه السلام فيها الإمامة:

١- أن عبد الله بن الإمام الصادق كان قد ادعى الإمامة وقد صدقه بعض الناس بذلك لأنهم رووا عن الإمام الصادق عليه السلام أن الإمامة في أكبر ولد الإمام السابق إلا أن يكون ذو عاهة وقد كان عبد الله «أفطح» وهو عريض الرجل أو عريض الرأس وقد وصفه الإمام الكاظم «أنه لا يريد أن يعبد الله».

٢- إن الوفد الكوفي رفض هذه الإمامة المدعاة بعد أن سأل المتصدي بعض الأسئلة التي لم تكن إجاباته مطابقة لما عرفوه عن أئمة أهل البيت السابقين ووقوعهم في حيرة من أمرهم.

(١) بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٤٧ - ص ٢٦٢ - ٢٦٣.

٣- شمول هذا الوفد برعاية الإمام عليه السلام بحيث بعث لهم من يدلّهم عليه.

٤- خوف الوفد من هذا الشيخ لاحتمالهم أن يكون عيناً من عيون السلطة المبثوثة بكل المدينة.

٥- دخول واحد من الوفد على الإمام وإخبارهم بما في خواطرهم من الحيرة وعلاج ذلك مما فيه جنبة معرفة بعض الغيوب التي هي من صفات الأئمة ومع ذلك أسئلة كثيرة ومعرفة أن الأجوبة هي نفس أجوبة الأئمة السابقين وقد استخدم الإمام الأسلوب الحكيم في هدايته لذلك.

٦- بعد معرفة من هو الإمام أخذ العهد بعدم الإعلان إلا لمن يثق بدينه وإلا فهو الذبح مما يدل على قساوة الظرف العصيب الذي كان يعيشه الإمام عليه السلام.

٧- رجوع الأمة شيئاً فشيئا إلى الإمام وانصرافهم عن الأفطح حتى أراد أن يبطش بذلك الداخل على الإمام الذي سبب انصراف الناس عنه رغم كل هذه الأجواء العصيبة.

وهذا الظلم استمر حتى هلاك المنصور ف «لما عزم على الحج دعا ريطة بنت أبي العباس امرأة المهدي - وكان المهدي بالري فأوصاها بما أراد وعهد إليها ودفع إليها مفاتيح الخزائن على أن تدفعها للمهدي، فلما قدم المهدي من الري إلى مدينة السلام دفعت إليه المفاتيح وأخبرته عن المنصور إنه أخذ عهداً منها ألا يفتحه أحد حتى يصح عندها موته، فلما انتهى إلى

المهدي موت المنصور وولي الخلافة فتح الباب ومعه ريطة، فإذا أزج كبير فيه جماعة من قتلى الطالبيين وفي آذانهم رقاع فيها أنسابهم، وإذا فيهم أطفال ورجال شباب ومشايخ عدة كثيرة، فلما رأى ذلك المهدي ارتاع وأمر فحفرت لهم حفيرة فدفنوا فيها وعملوا عليها دكاناً»[١] وهذا الحاكم الذي يبني الدكان على رفات الشهداء يأمر باعتقال الإمام عليه السلام وإيداعه في السجن، وبلا مبرر يذكر سوى شيوع ذكر الإمام وانتشار اسمه في جميع الآفاق، وبعد قيامه بسجن الإمام الكاظم عليه السلام وفي إحدى الليالي «رأى في منامه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وهو يقول يا محمد: ﴿فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم﴾ فقام المهدي من نومه فزعاً مرعوباً واستدعى حاجبه الربيع فلما مثل بين يديه كان المهدي يردد الآية الكريمة فأمره بإحضار الإمام موسى فلما أقبل إليه قام فعانقه وأجلسه إلى جانبه فقال بعطف ولين يا أبا الحسن إني رأيت أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام يقرأ علي كذا وأشار إلى الآية، فتؤمنني أن لا تخرج عليّ أو على أحد من ولدي فقال: والله ما فعلت ذاك. ولا هو من شأني. قال: صدقت، يا ربيع أعطه ثلاثة آلاف دينار ورده إلى أهله إلى المدينة»[٢]. ورغم قسم الإمام عليه السلام بأنه ليس من شأنه أن يخرج على الحكام «على المهدي ولا ولده» لكن تبقى ذهنية الحكام تربط بين الثورات التي تقوم ضدهم بالإمام عليه السلام وإن لم يكن مشاركاً فيها بصورة مباشرة فمثلا عندما قتل الحسين بن علي بن الحسين

---

(١) تأريخ الطبري ٣٤٤/١.

(٢) حياة الإمام ٤٥٣/١.

بن الحسن بن الحسن وحمل للهادي بن المهدي الأسرى من الطالبيين وقتل بعضهم ووبخ البعض الآخر ووصل في غضبه إلى اتهام الإمام عليه السلام بذلك فقد قال: «والله ما خرج حسين إلا عن أمره ولا اتبع إلا محبته لأنه صاحب الوصية في أهل هذا البيت قتلني الله إن أبقيت عليه، فقال له أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم القاضي وكان جريئا عليه: يا أمير المؤمنين أقول أم أسكت؟ فقال: قتلني الله إن عفوت عن موسى بن جعفر، ولو لا ما سمعت من المهدي فيما أخبر به المنصور بما كان به جعفر من الفضل المبرز عن أهله في دينه وعلمه وفضله، وما بلغني عن السفاح فيه من تقريظه وتفضيله لنبشت قبره وأحرقته بالنار إحراقا، فقال أبو يوسف: نساؤه طوالق، وعتق جميع ما يملك من الرقيق، وتصدق بجميع ما يملك من المال، وحبس دوابه، وعليه المشي إلى بيت الله الحرام إن كان مذهب موسى بن جعفر الخروج لا يذهب إليه ولا مذهب أحد من ولده»[1] ووصل خبر هذا التهديد إلى المدينة المنورة عن طريق رسالة علي بن يقطين وهو الموالي داخل الحكومة، فأجمع أهل بيته وأصحابه أن على الإمام أن يختفي ليسلم من هذا التهديد إلا أن الإمام لم يبال بذلك بل استهزء بالطاغية فقد علم بتعليم الله سبحانه أن هذا الأمر لا يتم على يد هذا الطاغية والتجأ إلى المولى سبحانه بالدعاء المعروف «الجوشن الصغير» «إلهي كُم مِن عَدُوّ انْتَضى عَلَيَّ سَيفَ عَداوَتِهِ وَشَحَذَ لي ظُبَةَ مُدْيَتِهِ، وَاَرْهَفَ لي شَبا حَدِّهِ، وَدافَ لي قَواتِلَ سمُوُمِهِ، وَسَدَّدَ اِلَيَّ «نَحْوي» صَوائِبَ سِهامِهِ وَلَمْ تَنَمْ عَنّي عَيْنُ حِراسَتِهِ، وَاَضْمَرَ

(١) بحار الأنوار ١٥١/٤١.

أنْ يَسـوْمَنيَ الْمَكْـرُوهَ وَيُجَرِّعَني ذُعافَ مَرارَتِهِ نَظَـرْتَ «فَنَظَرْتَ» إلى ضَعْفـي عَـنِ احتِمالِ الْفَـوادِحِ وَعَجْزي عَـنِ الاْنْتِصارِ مِمَّنْ قَصَدنـي بِمُحارَبَتِـهِ وَوَحْدَتـي فِي كَثـيرِ مِمَّنْ ناوانـي وأرْصَدَ لي فيمـا لَمْ أعْمِـلْ فِكْري فِي الارصادِ لَهُمْ بِمِثْلِـهِ، فَأَيَّدْتَني بِقُوَّتِكَ وَشَـدَدْتَ أزْري بِنُصْرَتِكَ»[1] والتفت بعد الدعاء لأصحابه قائلاً لهـم «لا يـرد أول كتاب مـن العراق إلا بموت موسـى بن المهدي وهلاكـه، فقالـوا: ومـا ذاك أصلحـك الله؟ فقـال: وحرمة هذا القبر مات فِي يومه هذا، والله إنه لحقّ مثل ما أنكم تنطقون»[2] وهلك هذا الطاغية ليأتي دور طاغية أخر.. ويصور طغيان هذا الظالم ما رواه الشيخ الصدوق عن عبد الله البزار النيسابوري: «كان بيـني وبـين حميد بن قحطبة الطائي الطوسـي معاملة، فرحلت إليه فِي بعض الأيام فبلغه خبر قدومي فاسـتحضرني للوقـت وعليّ ثيـاب السـفر لم أغيرها، وذلك فِي شـهر رمضان وقـت صـلاة الظهر، فلما دخلـت إليه رأيتـه فِي بيت يجري فيه الماء فسـلمت عليه وجلسـت، فأتى بطشـت وإبريق فغسل يديه ثم أمرني فغسـلت يدي وأحضرت المائدة وذهب عنّي أنّي صائم وأني فِي شهر رمضان، ثم ذكرت فأمسكت يدي، فقال لي حميد: مالـك لا تـأكل؟ فقلـت: أيها الأمير هذا شـهر رمضان، ولسـت بمريـض ولا بـي علـة توجب الإفطـار، ولعل الأمير لـه عذر فِي ذلـك أو علة توجـب الإفطار، فقال: ما بي علـة توجب الإفطار وإنـي لصحيـح البدن، ثم دمعت عيناه وبكـى، فقلت له بعد ما فـرغ من طعامه: ما يبكيك أيها الأمير؟ فقال: أنفذ إليّ هارون

(١) مهج الدعوات /٢٢٠.

(٢) بحار الأنوار ١٥٢/٤٨.

الرشيد وقت كونه بطوس في بعض الليل أن أجب، فلما دخلت عليه رأيت بين يديه شمعة تتقد وسيفاً أخضر مسلولاً وبين يديه خادم واقف فلما قمت بين يديه رفع رأسه إليّ فقال: كيف طاعتك لأمير المؤمنين؟ فقلت: بالنفس والمال! فأطرق ثم أذن لي بالانصراف.فلم ألبث في منزلي حتى عاد الرسول إليّ وقال: أجب أمير المؤمنين، فقلت في نفسي: إنّا لله، أخاف أن يكون قد عزم على قتلي وإنه لما رآني استحى مني، فعدت إلى بين يديه فرفع رأسه فقال: كيف طاعتك لأمير المؤمنين؟ فقلت: بالنفس والمال والأهل والولد، فتبسم ضاحكا، ثم أذن لي في الانصراف، فلما دخلت منزلي لم ألبث أن عاد الرسول إليّ فقال: أجب أمير المؤمنين، فحضرت بين يديه وهو على حاله، فرفع رأسه إليّ فقال: كيف طاعتك لأمير المؤمنين؟ فقلت: بالنفس والمال والأهل والولد والدين، فضحك ثم قال لي: خذ هذا السيف وامتثل ما يأمرك به هذا الخادم، قال: فناول الخادم السيف وناولني إياه، وجاء بي إلى بيت فإذا به بئر في وسطه، وثلاثة بيوت، أبوابها مغلقة ففتح باب بيت منها فإذا فيه عشرون نفساً عليهم الشعور والذوائب شيوخ وكهول وشبان، مقيدون، فقال لي: إن أمير المؤمنين يأمرك بقتل هؤلاء، وكانوا كلهم علويين من ولد علي وفاطمة عليها السلام فجعل يخرج إليّ واحدا بعد واحد فأضرب عنقه، حتى أتيت على آخرهم ثم رمى بأجسامهم ورؤوسهم في تلك البئر، ثم فتح باب بيت آخر، فإذا فيه ايضا عشرون نفسا من العلويين من ولد علي وفاطمة عليهما السلام مقيدين فقال لي: إن أمير المؤمنين يأمرك بقتل هؤلاء فجعل يخرج إليّ واحدا بعد واحد فأضرب عنقه ويرمى به في تلك البئر، حتى

أتيت على آخرهم، ثم فتح باب البيت الثالث فإذا فيه مثلهم عشرون نفسا من ولد علي وفاطمة عليهما السلام مقيدين عليهم الشعور والذوائب فقال لي: إن أمير المؤمنين يأمرك أن تقتل هؤلاء أيضا، فجعل يخرج إليّ واحدا بعد واحد فأضرب عنقه، فيرمي به في تلك البئر، حتى أتيت على تسعة عشر نفسا منهم وبقي شيخ منهم عليه شعر فقال لي: تبا لك يا مشؤوم! أي عذر لك يوم القيامة إذا قدمت على جدنا رسول الله صلى الله عليه وآله، وقد قتلت من أولاده ستين نفساً قد ولدهم علي وفاطمة عليهما السلام فارتعشت يدي وارتعدت فرائصي، فنظر إليّ الخادم مغضباً وزبرني فأتيت على ذلك الشيخ أيضا فقتلته ورمى به في تلك البئر، فإذا كان فعلي هذا وقد قتلت ستين نفساً من ولد رسول الله صلى الله عليه وآله فما ينفعني صومي وصلاتي وأنا لا أشك أنّي مخلد في النار»[1]

وظيفة الأمة تجاه الطغاة

لقد حرص الإمام الكاظم عليه السلام على تربية الجماهير للوقوف ضد الطواغيت والحكام الظلمة، وحدد وظيفة الأمة تجاه هؤلاء لإحقاق الحق وإنصاف المظلومين، ومن هذه الوظائف ما يأتي:

١- حرمة التعامل معهم، وقد مر بنا دلالة القرآن الكريم على حرمة الركون إليهم، وقد حرم الإمام عليه السلام التعامل مع السلطة

---

(١) -عيون أخبار الرضا ١|١٠٨

حتى على مستوى كراء الجمال فقد روى صفوان بن مهران الجمال «دخلت على أبي الحسن الأول عليه السلام فقال لي يا صفوان كل شيء منك حسن جميل ما خلا شيء واحد, قلت: جعلت فداك أي شيء؟ قال: إكراؤك جمالك من هذا الرجل - يعني هارون - قلت: والله ما أكريته أشراً ولا بطراً ولا لصيد ولا للهو، ولكني أكريه لهذا الطريق - يعني طريق مكة - ولا أتولاه بنفسي ولكن أنصب غلماني، فقال لي: يا صفوان أيقع كرؤاك عليهم؟ قلت: نعم جعلت فداك، قال: فقال لي أتحب بقاءهم حتى يخرج كراؤك؟ قلت: نعم، قال: فمن أحبّ بقاءهم فهو منهم، ومن كان منهم كان ورد النار، قال صفوان: فذهب وبعت جمالي عن آخرها»[1].

٢- لقد استثنى الإمام من هذه الحرمة، تسلل موالي أهل البيت عليهم السلام للمناصب الحكومية لقضاء حوائج المؤمنين، فقد «استأذن علي بن يقطين الإمام في ترك عمل السلطان فلم يأذن له، وقال: لا تفعل فإن لنا بكَ أنساً ولإخوانك بك عزا وعسى أن يجبر الله بك كسرا ويكسر بك نائرة المخالفين عن أوليائه، يا عليّ كفارة أعمالكم الإحسان إلى إخوانكم»[2]

٣- استخدام مبدأ التقية وقد مر بنا وصيته عليه السلام للوفد الكوفي أن لا يذيع أمر إمامته وإلا فالذبح، وقد سُئل عن القيام للولاة فقال عليه السلام: «قال أبو جعفر عليه السلام التقية ديني ودين آبائي ولا إيمان لمن لا تقية له»[3].

---

(١) اختيار معرفة الرجال.

(٢) بحار الأنوار ٤٦/ ١٣٦.

(٣) . الوسائل ١٦/٢٠٤.

٣- التأكيد على مسألة الإمامة الشرعية وأنها في أهل البيت دون غيرهم فكانت الشيعة ترجع إليهم في أداء الحقوق الشرعية والأحكام وغير ذلك، وكان هذا بتصور الطغاة مزاحمة لحكوماتهم وخلافتهم، وقد عمدوا إلى ظهور كثير من المرجعيات لعل الناس تتبع تلك المرجعيات المرضية عند الدولة، وإظهار أنهم قربى الرسول لكي تمتنع الناس عن المرجعية الحقيقية، ففي أحد الأيام أراد الطاغية إظهار قربه من رسول الله فقال: «السلام عليك يا رسول الله يا ابن عمي - افتخاراً على من حوله - فدنا موسى بن جعفر عليه السلام فقال: السلام عليك يا أبه، فتغير وجه هارون وقال: هذا الفخر يا أبا الحسن حقا»[1]، وقد ذكر أن ذلك كان سبب اعتقاله، وقد سأله يوماً عن حدود فدك حتى يردها إليه فأبى الإمام عليه السلام فلما ألحّ عليه قال: لا آخذها إلا بحدودها، قال: وما حدودها؟ قال: إن حددتها لم تردها، قال: بحق جدك إلا فعلت، قال: أما الحد الأول فعدن فتغير وجه الرشيد وقال: هيه, وقال: الحد الثاني سمرقند فأربد وجهه، قال: والحد الثالث أفريقية.. فاسود وجهه فقال: هيه، قال الحد الرابع سيف البحر مما يلي الخزر وأرمينية قال الرشيد: فلم يبق لنا شيء، فتحول إلى مجلسي، قال موسى عليه السلام: قد أعلمتك إني إنْ حددتها لم تردها، فعند ذلك عزم على قتله»[2]، ونحن لا نعقل أن الاعتقال ثم القتل كان بسبب تحدي الإمام للحاكم بأنه أقرب من رسول الله صلى الله عليه وآله أو تحديد الإمام عليه السلام لفدك بأنها تشمل كل المملكة الإسلامية

---

(١) تاريخ بغداد ١٣/ ٢٩.

(٢) . ربيع الأبرار ١/ ٣١٦.

وهي رمز للخلافة، والذي نعقله أن انتشار مدرسة أهل البيت عليهم السلام في ذلك الزمان والتفاف الأمة حول الإمام موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام باعتباره وريث تلك ا لجامعة الكبرى التي خلفها أبوه الإمام الصادق عليه السلام كان بنظر الحاكم تهديد حقيقي للدولة وللحاكم، وإن أقسم الإمام أن الخروج على الدولة ليس من شأنه كما حدث وأن اقسم أمام أبيه وشهد عالم البلاط أمام عمه كما مر بنا.

سجن الإمام وشهادته

ما نعرفه أن الإمام عليه السلام قد أودع السجن ولمرات كثيرة ولسنوات طويلة كان يتخلل ذلك إطلاق سراح مؤقت يرحل بعده إلى المدينة المنورة أحيانا ويبقى أحيانا أخرى في بغداد وبأمر السلطة، مما يشبه الإقامة ا لجبرية، فقد سجن بالبصرة لمدة سنة كتب بعدها والي البصرة للطاغية يقول «قد طال أمر موسى بن جعفر ومقامه في حبسي وقد اختبرت حاله ووضعت من يسمع منه ما يقول في دعائه فما دعا عليك ولا عليَّ وما ذكرَنا بسوء، وما يدعو لنفسه إلا بالمغفرة والرحمة، وإن أنفذت إليّ من يتسلمه مني وإلاّ خلّيْت سبيله فإني متحرّج من حبسه»[1].

(١) الارشاد ٢/٢٤

وانتقل على إثرها إلى بغداد وحبس عند الفضل بن الربيع وبقي عنده مدة طويلة ,ويصف حاله أحمد بن عبد الله القروي: «دخلت على الفضل بن الربيع وهو جالس على سطح فقال لي: أدن مني، فدنوت حتى حاذيته، ثم قال لي: أشرف إلى البيت في الدار، فأشرفت، فقال: ما ترى في البيت؟ قلت: ثوباً مطروحاً، فقال: انظر حسناً، فتأملت ونظرت فتيقنت فقلت: رجلا ساجدا، فقال: بلى، تعرفه؟ قلت: لا، قال: هذا مولاك، قلت: ومَن مولاي؟ فقال: تتجاهل عليّ؟ قلت: ما أتجاهل، ولكني لم أعرف لي مولى، فقال: هذا أبو الحسن موسى بن جعفر، إني أتفقده بالليل والنهار فلا أجده في وقت من الأوقات إلا على الحال التي أخبرك بها، إنه يصلي الفجر فيعقب ساعة في دبر الصلاة إلى أن تطلع الشمس، ثم يسجد سجدة فلا يزال ساجداً حتى تزول الشمس، وقد وكل من يترصد له الزوال، فلست أدري متى يقول الغلام: قد زالت الشمس إذ يثب فيبتدئ بالصلاة من غير أن يجدد وضوءً، فأعلم أنه لم ينم في سجوده ولا غفى، ولا يزال كذلك إلى أن يفرغ من صلاة العصر، فإذا صلى العصر سجد سجدة فلا يزال ساجدا إلى أن تغيب الشمس، فإذا غابت الشمس وثب من سجدته فصلى المغرب من غير أن يحدث حدثا، ولا يزال في صلاته وتعقيبه إلى أن يصلي العتمة، فإذا صلى العتمة أفطر على شيء يؤتى به، ثم يجدد الوضوء، ثم يسجد، ثم يرفع رأسه، فينام نومة خفيفة، ثم يقوم فيجدد الوضوء، ثم يقوم فلا يزال يصلي في جوف الليل حتى يطلع الفجر، فلست أدري متى يقول الغلام: إن الفجر قد طلع إذ قد وثب هو لصلاة الفجر، فهذا دأبه منذ

حُـوّل إلـي، فقلت: اتق الله، ولا تحدثن في أمره حدثا يكون منه زوال النعمـة، فقـد تعلـم أنـه لم يفعل أحد بأحد منهم سـوء إلا كانت نعمته زائلة، فقال: قد أرسـلوا إليّ غير مرة يأمرونني بقتلـه فلـم اجبهم إلى ذلـك، وأعلمتهم أنـي لا أفعل ذلك، ولو قتلوني ما أجبتهم إلى ما سألوني »[1].

ونُقـل إلى دار الفضـل بن يحيى البرمكي وقد جعله في بعض حجـر دوره ووضـع عليـه العيـون فلم يـر إلا انشـغالا بالعبادة وتوجـه إلى الله سـبحانه، ممـا دعاه إلى أن يوسـع علـى الإمام ويكرمـه، فيصـل خـبر هـذا التكريـم إلى الطاغية وهـو خارج بغـداد فكتب إليه ينكر ذلـك عليه ويأمره بقتله فلم يطع ذلك الأمر، فاغتاظ هارون ودعا مسرور الخادم «فقال له: اخرج على البريد في هذا الوقت إلى بغداد و ادخل من فورك على موسـى بـن جعفر فإن وجدته في دعة و رفاهية فأوصل هذا الكتاب إلى العباس بن محمد و مره بامتثال ما فيه، و سلم إليه كتابا آخر إلى السـندي بن شاهك يأمره بطاعة العباس بن محمد فقدم مسـرور فنـزل دار الفضـل بن يحيى لا يدري أحـد ما يريد، ثم دخل على موسى بن جعفر فوجده على ما بلغ الرشيد فمضى من فوره إلى العباس بن محمد و السـندي بن شـاهك فأوصل الكتابين إليهما، فلم يلبث الناس أن خرج الرسـول يركض إلى الفضل بن يحيى فركب معه و خرج مشـدوها دهشا حتى دخل علـى العبـاس فدعا العباس بسـياط و عقابـين و أمر بالفضل فجـرد و ضربـه السـندي بين يديه مائة سـوط و خـرج متغير

(١) مدينة العاجز ج ٣٦٢/١

اللون خلاف ما دخل، و جعل يسلم على الناس يمينا و شمالا، و كتب مسرور بالخبر إلى الرشيد فأمر بتسليم موسى عليه السلام إلى السندي بن شاهك، و جلس الرشيد مجلسا حافلا و قال: أيها الناس إن الفضل بن يحيى قد عصاني و خالف طاعتي و رأيت أن ألعنه فالعنوه، فلعنه الناس من كل ناحية حتى ارتج البيت و الدار بلعنه، و بلغ يحيى بن خالد الخبر فركب إلى الرشيد فدخل من غير الباب الذي يدخل الناس منه حتى جاءه من خلفه و هو لا يشعر، ثم قال: التفت يا أمير المؤمنين، فأصغى إليه فزعا، فقال له: إن الفضل حدث و أنا أكفيك ما تريد، فانطلق وجهه و سرّ، وأقبل على الناس و قال: إن الفضل كان قد عصاني في شي ء فلعنته و قد تاب و أناب إلى طاعتي فتولوه، فقالوا نحن أولياء من واليت و أعداء من عاديت، وقد توليناه، ثم خرج يحيى بن خالد على البريد حتى وافى بغداد فهاج الناس وأرجفوا بكل شيء وأظهر أنه ورد لتعديل السواد والنظر في أمور العمال وتشاغل ببعض ذلك أياما ثم دعا السندي فأمره فيه بأمره فامتثله»[1].

وإن كان الفضلان لم يقبلا بتنفيذ قتل الإمام عليه السلام، فالسندي ابن شاهك على استعداد لذلك وقد رتب الأوضاع ليوهم عامة الناس أن الإمام قد مات ميتة طبيعية، فقد روى عمر بن واقد قال: «أرسل إلي السندي بن شاهك في بعض الليل وأنا ببغداد يستحضرني، فخشيت أن يكون ذلك لسوء يريده بي، فأوصيت عيالي بما احتجت إليه وقلت: إنا لله وإنا إليه راجعون، ثم

---

(١) كشف الغمة ج٢/٢٢٧

ركبت إليه فلما رآني مقبلاً قال: يا أبا حفص لعلنا أرعبناك وأفزعناك، قلت: نعم، قال: فليس هنا إلا خير، قلت فرسول تبعثه إلى منزلي يخبرهم خبري، قال: نعم، ثم قال: يا أبا حفص أتدري لم أرسلت إليك، فقلت: لا، قال: أتعرف موسى بن جعفر؟ فقلت: إي والله إني لأعرفه وبيني وبينه صداقة منذ دهر، فقال: مَن ها هنا ببغداد تعرفه ممن يقبل قوله؟ فسميت له أقواماً ووقع في نفسي أنه عليه السلام قد مات، قال فبعث وجاء بهم كما جاء بي، فقال: هل تعرفون قوماً يعرفون موسى بن جعفر؟ فسمّوا له قوماً فجاء بهم فأصبحنا ونحن في الدار نيف وخمسون رجلاً ممن يعرف موسى بن جعفر عليه السلام وقد صحبه، قال: ثم قام فدخل وصلينا فخرج كاتبه ومعه طومار فكتب أسماءنا ومنازلنا وأعمالنا وخلانا، ثم دخل إلى السندي، قال: فخرج السندي فضرب يده إليّ فقال لي: قم يا أبا حفص، فنهضت ونهض أصحابنا ودخلنا، فقال لي: يا أبا حفص اكشف الثوب عن وجه موسى بن جعفر، فكشفته فرأيته ميتاً، فبكيت واسترجعت، ثم قال للقوم: انظروا إليه فدنا واحد بعد واحد فنظروا إليه، ثم قال: تشهدون كلكم أن هذا موسى بن جعفر بن محمد... فقال: أترون به أثراً تنكرونه فقلنا: لا، ما نرى به شيئاً ولا نراه إلا ميتاً، قال فلا تبرحوا حتى تغسلوه وأكفنه وأدفنه»[1].

هكذا يراعي الظالمون ردة فعل الناس ويمتصوا غضبهم ولا يلتفتوا إلى أن الله سبحانه يرى ويعلم خائنة الأعين وما تخفي

(١) . الأنوار البهية ١/١٧٠.

الصدور، ولم يكتفوا بسمّه بل أمروا به «فحمل على نعش ونودي عليه: هذا إمام الرافضة فاعرفوه... وخرج سليمان بن أبي جعفر الجعفري عن قصره إلى الشط فسمع الصياح والضوضاء فقال لغلمانه ولولده: ما هذا؟ قالوا: السندي بن شاهك ينادي على موسى بن جعفر عليه السلام على نعشه، فقال لولده وغلمانه: يوشك أن يفعل هذا به في الجانب الغربي فإذا عبر به فانزلوا مع غلمانكم فخذوه من أيديهم فان مانعوكم فاضربوهم وخرقوا ما عليهم من السواد، فلما عبروا به نزلوا إليهم، فأخذوه من أيديهم وضربوهم وخرّقوا عليهم من سوادهم ووضعوه في مفرق أربعة طرق وأقام المنادين ينادون: ألا ومن أراد أن يرى الطيب بن الطيب موسى بن جعفر عليه السلام فليخرج، وحضر الخلق وغسل وحنط بحنوط فاخر، وكفنه بكفن فيه حبرة استعملت بألفين وخمس مائة دينار عليها القرآن كله، واحتفى ومشى في جنازته متسلبا مشقوق الجيب إلى مقابر قريش فدُفن عليه السلام هناك، وكتب بخبره إلى الرشيد فكتب الرشيد إلى سليمان بن أبي جعفر، وصلت رحمك يا عم، وأحسن الله جزاك والله ما فعل السندي بن شاهك لعنه الله تعالى ما فعله عن أمرنا»[1].

لقد نبأنا القرآن إن من صفة الظالمين أن يتبرءوا بعضهم من بعض في الآخرة ﴿وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُواْ إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلّهِ جَمِيعاً وَأَنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُواْ

(١) . عيون أخبار الرضا ٢/٩٤.

مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُواْ وَرَأَوُاْ الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الأَسْبَابُ﴾ [1]

وقد قلنا سابقاً إن القرآن ينص على أن حشر الناس يكون حسب أئمتهم إن كانوا أئمة هدى أم أئمة جور..

ونحن بمحبتنا لأئمة الهدى عليهم السلام

واتباعنا لهم نسأل الله أن يحشرنا معهم

وصلى الله على محمد وآله الطاهرين

(١) . سورة البقرة / آية ١٦٥-١٦٦.

الفهرس

المقدمة ٣

أئمة الهدى ٦

المحسن والظالم ١٠

أئمة ضلال ١٥

معرفة الإمام ١٧

الصراع الحتمي بين الخطين ١٨

الإمام الكاظم والحاكم الظالم ٢٠

وظيفة الأمة تجاه الطغاة ٣٠

سجن الإمام وشهادته ٣٣

رجب ١٤٣٢هـ الذكرى ١٢٥٠ لاستشهاد الإمام الكاظم عليه السلام

السَّلامُ عَلَى
الإمامِ موسى بن جعفر

الأمانة العامة للعتبة الكاظمية المقدسة

الشؤون الفكرية والثقافية

زورونا www.aljawadain.org

راسلونا fikriya@aljawadain.org